الثقافة اليونانية والتقاليد المحلية في مقبرة جنزور الغامضة

ترجمة : فاطمة الشريف

انطونيو دي فيتا ، مارسيلو بناسيا / مقال نشر في المجلة الفرنسية المتخصصة في علم الآثار L'ARCHEO-THEMA

جنزور اليوم هي حي يقع غرب مدينة طرابلس، و كانت في العصور القديمة واحة غنية تطل على البحر الأبيض المتوسط، تقع على بعد حوالي 15 كم من أويا، لها مقبرة قديمة اكتشفت بين سنتين 1958-1959، والتي يعود الفضل في اكتشافها إلى فيلا في ضواحي المدينة ، وهي إحدى المقابر التي يعود تاريخها إلى القرن الأول الميلادي، وتحمل العديد من اللوحات التي توضح عملية الانتقال من عالم الأحياء إلى عالم الأموات.

المقبرة تحتوي على 15-18 قبراً، بما في ذلك خمس غرف بها قبور حفرت داخل الحجر الجيري الناعم، الذي تم التوصل إليه عن طريق بئر للماء، والبعض مازال يحتفظ بالأثاث الجنائزي الذي يمكن أن يكون تاريخه يرجع إلي (القرن الأول - القرن الثالث الميلادي)، فقد كانت مغطاة تماما بـ 11 لوحة جدارية، داخل غرفة مربعة صغيرة حجمها بالتقريب يعادل 2.05×2.10 متر مربع، وتقع بعمق مترين، لا تحتوي على أكثر من أربعة مدافن يفتح مدخلها على ممر ضيق يحيط بها اثنان من المقاعد المخصصة للذبائح المنحوتة على الجدار الصخري لكل تابوت.

كذللك الصهاريج المتمدة بين مدخل وركيزة الجدار الخلفي للقبر. و تضم أيضا اثنين من المنافذ المقوسة عميقة الانتهاء، المخصصة لحمل أوعية الرماد





والهدايا التذكارية على هذه الجدران الجانبية. مجسم لتيبيريوس، وأمفورا (وعاء يوناني قديم) بيضوي الشكل وحامية للصدر من نوع شائع في طرابلس بين عهدي كلوديوس وفيسباسيان ، أجزاء من الأثاث الجنائزي، وتسريحات الشعر لبعض الشخصيات النسائية الموجودة على اللوحات الجداريات تشير إلى أن هذا القبر من نهاية عهدي تيبيريوس وكلودويس.

اللوحات الفنية في الغرفة مرسومة على ثلاثة خطوط أفقية وتغطي السقف أيضا، انخفاض الحزام الذي يزين الجدار الخارجي لاثنين من التوابيت قد اختفى تماما تقريبا، ثلاث نقوش للبط لازالت تقف على يسار التابوت.



وقد تم تحريك الحزام الذي يتصل بالصهاريج مباشرة، من قبل الحيوانات التي تتحرك في مجموعات من بين اثنين من الأشجار.

في الشريط العلوي تتكشف الروايات المتواصلة والمرسومة لمن قام بالدفن بمن شارك فيها من مساعدين في العبور إلى عالم الأموات، وتظهر أرقام على دعامة جدارية ناشئة من الجدار المركزي ويصور هذا الرقم في التعريف بمن هو صاحب القبر وفاعل التضحية. وهو يرتدي قبعة مشابهة للطاقيّة، الموجودة اليوم عند العائلات الليبية.

ولها جذور بعيدة شرق أوسطية والتي تظهر من بين أمور أخرى على شاهد قرطاج (القرن الرابع قبل الميلاد) ويتم العثور على غطاء للميت منقط ويوضع فوقه إكليل من الورود وهو عادة من تدمر.

الرسوم التوضيحية على الشريط العلوي هي الوحيدة في العالم الروماني ، وتضم صورة الرسام الرئيسي وصوراً مرسومة للمساعدين، تتحقق إرادة الراعي وتظهر بوضوح كمشارك في أسرار الخلاص خلال المعتقدات الدينية والفلسفية الإغريقية، وتبين الدورة التصويرية، الإيمان بالحياة بعد الآخرة واستمرارها وبالأورفيّة وبالبعث بعد الموت.

بدءا من المدخل وحتى الوصول الى الجزء السفلي ، درب يذهب في عالم الأحياء إلى عالم الأموات. في بدايته ، المتوفى، يتمشى برفقة رجل يحمل الرمح، و يحيي عائلته في مشهد يعبر المقبل على الموت نهر الأكيرون على متن قارب يقوده شارون، يرافقه هيرميس مرشد الأرواح . بعد ذلك يدخل الفقيد إلى الجنة ، حيث ترحب به بريزيفوني ابنة الإله زيوس باستحقاق و تكريم، على الجانب الآخر من عمود الأساس للجدار الخلفي، تبدأ القصة مرة أخرى من كهف سيربيروس، ويتضح كذلك العمل الحادي عشر لهرقل الذي يبين كيف يمكن للمرء أن يعود منتصرا من بين الأموات كما الصوفيون (التطلع إلى الأسرار والغموض).

وفي تصوير وتأثير المشهد الأخير، هرقل يحمل جثة إلى النور، ممثلة في مدخل القبر، هذه الجسم المرسوم هو و بلا شك ثيسيوس، الذي ظهر بين الأحياء، هذا يساعد على التعرف على شخصية الأنثى، وهي محاطة باثنتين من الخادمات في وسط الجدار الجنوبي مع يوريديس، بطلة أسطورة أورفيوس والجحيم، بدا واضحا أن الراعي يعتقد بعودته إلى الحياة الخالدة، وعرف أنه كان عليه أن يكون منتبهاً إلى العلاقات مع الآلهة الجهنمية، وحلقة متعلمين من يوريديس (وبينما هي قريبة من سطح الأرض، يتم سحب يوريديس إلى عالم الموتى، بسبب خيانة للاتفاق القائم مع أورفيوس و بريزيفوني والعالم السفلي "الجحيم") خلال القيام بدور هرقل لا غيره، يتجسد المتشائم والرزين بشكل مثالي، وعظمة المغزى من القصة وتمكن هرقل من قهر الموت.

إضافة لسرب من الحيوانات، زخرفة السقف، رؤوس الشخصيات قد تشير لعلاقة أصحاب القبور بها، لا تزال الفكرة عن هذه الرواية، بالإضافة لمجموعة من المشاهد والانطباعات التي تأتي مع الأرقام والأشجار تشي بالاقتراض أن هذه المقابر من العالم الهيليني، بكونها في أويا البونيقية حينها المتأثرة في غنىً بالثقافة اليونانية، فإن مدافن جنزور تعطي صورة غير كاملة ولكن حية للمجتمع المعقد الذي تسيطر عليها إمبوريا طرابلس في نهاية الفترة الهلنستية، وكانت الثروة والثقافة والسياسة بين يدي الإمبوريا الطرابلسية.

جنزور اليوم هي حي يقع غرب مدينة طرابلس، و كانت في العصور القديمة واحة غنية تطل على البحر الأبيض المتوسط



